أوّل خطوة للتوبة.. الندم



يؤكّ َ د النبيّ (صلى ا□ عليه وآله وسلم) في شهر رمضان، أن يستحضر الإنسان كلّ ذنوبه السالفة ليتوب إلى ا□ منها: (وَهُوَ الَّنَذِي يَقَعْبَلُ التَّوْبَةَ عَن ْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَن ِ السَّيَ ِسَّنَاتِ) (الشوري/ 25)، و(إِنَّ ا□َ يُح ِبُّ التَّوَّ َابِين) (البقرة/ 222)، والتوبة هي الندم على ما فعله الإنسان من ذنب، والعزم على أن لا يفعل ذلك في المستقبل، وهي التوبة النصوح التي يدعو إليها النبيِّ (صلى ا□ عليه وآله وسلم) في قوله: «وتوبوا إلى ا□ من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدُّ مُاء في أوقات صلواتكم، فإنَّها أفضل الساعات ـ فالصلاة هي معراج روح المؤمن إلى ا∐، وعندما يقف الإنسان بين يدي ا□ مستشهدا ً بذلك على عبوديِّته له، فإنِّه يكون قريبا ً إليه _ ينظر ا□ عز ّوجل ّ فيها بالرحمة إلى عباده؛ يجيبهم إذا ناجوه، ويلب ّ ِيهم إذا نادوه، ويعطيهم إذا سألوه، ويستجيب لهم إذا دعوه. يا أيّها الناس، إنّ أنف ُسكم مرهونة بأعمالكم ـ فما الذي يحرّ ِر هذه النفس ويعتقها؟ _ ففكَّوها باستغفاركم _ أن نستغفر ا□ في الصباح والمساء، ليستذكر كلَّ إنسان ٍ ذنبه، ويستغفر ا□ منه ـ وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخفّ فوا عنها بطول سجودكم ـ اسجدوا □ سجودا ً طويلا ً، لأنَّ الإنسان عندما يسجد □، يشعر بإخلاص العبودية له والقرب منه ـ واعلموا أنَّ ا□ أقسم بعزَّته أن لا يعذِّ بِ المصلِّينِ والساجدينِ، وأن لا يروَّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربِّ العالمينِ». وأيِّ جائزة أعظم من هذه الجائزة؟! وفي الحديث عن الإمام الكاظم (عليه السلام) وقد سأله أحد أصحابه عن قول ا□ عز ّوجل ّ: (يـَا أَي ّ بُهـَا الـ ّ َذ ِين َ آم َن ُوا ت ُوب ُوا إ ِلـ َم ا□ ِ ت َو ْبـ َة ً ن َص ُوحاً)؟ فقال (عليه السلام): «يتوب من الذنب ثمَّ لا يعود فيه»، التوبة النصوح هي التوبة التي لا يحتاج بعدها إلى توبة، هي التوبة التي تنطلق من عمق الندم على الذنب، ومن قوَّة الإرادة في رفض الذنب الذي أذنبه في الماضي، و«أحبَّ العباد إلى ا□ المفتَّنون التوَّابون».. ونقرأ في حديث الإمام الكاظم (عليه السلام): «إن ً عز ّوجل ّ في كل ّ يوم وليلة مناديا ً ينادي: مهلا ً عباد ا ً عن معاصي ا ☐ - لا تقتحموا معاصي ا□ ولا تتجرأوا على ا□، لأنَّ ذلك يستوجب غضب ا□ الذي قد يستوجب عقابه في الدُّ ُنيا قبل الآخرة - فلولا بهائم رتع وصبية رضع وشيوخ ركّع لصبّ عليكم العذاب صبا ً، تـُرضّون به رضّاً ً»، كأن ا□ تعالى يرحمنا من خلال هؤلاء، وإسّلا فإنّ المعاصي التي تنطلق منسّا في الليل والنهار قد تكسبنا غضب ا□ الذي لا تقوم له السماوات والأرض.